صفحة جديدة؟ لا، شكراً، نريد جرد الحساب اولا!!

يدهش المرء احيانا، لمدى الصفاقة البدائية، التي يتعامل بها بعض المسؤولين العرب مع جماهير هذه الامة المقهورة، المغلوبة على امرها. وتتجسد هذه الصفاقة في التجاهل التام لوجود هذه الجماهير حتى في القضايا المصيرية بالنسبة لها، والتي تتصل مباشرة بلحم الناس ودمهم واطفالهم ومقدراتهم واحلامهم.

يلتقي هؤلاء المسؤولون (القادة) ويتفقون دون الرجوع الى الجماهير. ثم يختلفون دون الرجوع الى الجماهير. ويتفقون ويختلفون ويعلنون الحرب ثم يعلنون السلام او الاستسلام دون الرجوع الى الجماهير.

يحبون نيابة عنها، ويكرهون نيابة عنها، ويأكلون ويشربون ويترفهون نيابة عنها.

ويتصرفون بما يوحي احيانا بان هذه الجماهير ليست سوى عبء عليهم، او انها مجرد قطع اثاث في قصورهم حديثة النعمة. ويكرسون هذا القدر من الجماهير، او ذاك للذبح في معاركهم "الشخصية". كما يكرس الوالد المسؤول عن الاسرة عددا من الاغنام والماعز للذبح في عرس ولده البكر !!

هذا التغييب التام للجماهير، اصبح جزءاً لا يتجزء ولا يقبل

النقاش، في تقاليد الحكم العربية، حيث يلتقي "التقدمي بالرجعي"، و "الجمهوري"، "بالملكي"، "بالاميري"، وهلمجرا..

لقد بلغت الجراة ببعض هؤلاء المسؤولين (القادة) حد الكلام على "النظام العربي"، باعتبار صيغة "النظام العربي" الوهمي، بديلا لصيغة "الوحدة العربية" الحلم - المطلب - المصلحة.

.نحن ندرك الفرق بين هذا النظام العربي وذاك، ونعني حتى الفرق الصغير، اخذين بالقول الفرنسي الشهير: "عاش الفرق الصغير!"، غير اننا لا نجد العزاء الكافي في هذا التفاوت الطفيف، ما دامت الطبيعة الاساسية.في الحكم العربي (لا النظام العربي، كما يقولون) هي طبيعة تجاهل الجماهير واستثنائها، وتغييب دورها الحقيقي عن الفعل الدائر على ارضها ولحمها وحلمها.

خذوا مثلا، ما جرى ويجري على الارض العربية (العراق الان) من احداث دامية فاجعة، ومن امور لا تصدق في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية على السواء.

وانظروا كيف اخذ (القادة) يطلون برؤوسهم من خلال الدخان والركام، واحدا تلو الاخر، لا ليعيدوا النظر في ما فعلوه بمقدرات هذه الامة، ولا ليستخلصوا العبر، ولا حتى للتعزية في الشهداء، بشرا وعمرانا وثقافة، بل لتجاهل الجماهير مرة اخرى، ولمد الايدي والاعناق فوق جثث هذه الجماهير وخرابها ودمها، من اجل مصالحة عشائرية فوقية اخرى، ولمتابعة الحال، كأن شيئا لم يكن.

انهم يطالبون بفتح صفحة جديدة و"برأب الصدع في الصف العربي".. وبما شابه، من عبارات سامة ولئيمة ومهينة، حتى لكأن كل الدمار والموت والحزن والدم والعار الذي لحق بنا على قطعة عزيزة من وطننا البائس ليست أكثر من كأس نبيذ اندلقت خطأ على

مواثدهم العامرة.

بعد صبرا وشاتيلا هتفنا من اعماق قبورنا الجماعية: " لا نسيان ولا غفران!".

واذا كنا واجهنا الردى، عيناً لعين وأنفا لأنف، في وقفة تحد اسطورية ازاء الظلم الاسرائيلي والأمريكي، فلماذا يفترض فينا الحكام العرب ان ننسى وان نغفر ما فعلوه هم بأبناء امتنا الذبيح؟.. ولماذا تسوغ لهم نفوسهم ان يصبح ظلم ذوي القربى "اقل" مضاضة؟!

ها هم يطلون برؤوسهم من خلل الدخان والخراب، في دعوة بائسة وسافلة الى "نسيان الماضي وفتح صفحة جديدة في العلاقات العربية".. واذا كانوا يهربون من التفاصيل فنحن لا نهرب منها على الاطلاق.. ونحن على يقين من ان اشقاءنا في الكويت وفي العراق وفي كل قطر عربي آخر ليسوا بحاجة الى "فتح صفحة جديدة"، ذلك ان الصفحات القديمة من تضارب المصالح والمطامح هي صفحات فوقية سلطوية حكمية.. اما جماهير هذه الامة فلا تملك سوى صفحة الوحدة، وحدة المصير والمصلحة والحلم.. واذا كان لديها حساب قديم تطمح الى تصفيته فانه بالتأكيد ليس حسابا شعبيا، بل هو حساب كل شعب مع سلطته، وحساب كل الأمة مع حكامها مغتصبي السلطة عبر فوهات المدافع التي آذت العرب انفسهم اكثر مما آذت اعداء حقوقهم وتطلعاتهم واجيالهم.

ثمة حاجة وحاجة ملحة، في صفحة جديدة من تاريخ عربي جديد، تصنعه الملايين الطيبة المبدعة النشطة، صفحة جديدة من تاريخ جديد يكتبه الانسان الجديد، الحر المنعتق المعافى، صفحة جديدة خارج كتاب الذل والاستغلال والاستعباد والاستصغار والاستضعاف والاستهبال، خارج كتاب الخطب الرسمية المتقعرة

الزائفة المصلصلة بسيوف البلاغة الانشائية المتربة، صفحة جديدة يكتبها الشعب الخارج لتوه من ظلام الامية بفضل كفاحه الخاص، الخاص جدا، وليس بفضل خطط الحكام الخمسية والعشرية البهلوانية...

صفحة جديدة معكم؟ لا، شكرا. نريد جرد الحساب وتصفية الحساب اولا .. وستكون من بعد صفحة جديدة للدمقراطية، للشورى، للعدل وللحرية، للتقدم وللوحدة، الوحدة - حلما - مصلحة - ومطلبا تاريخيا..

معكم؟ لا.

منا؟ نعم.

«الاتحاد» ٨ آذار ١٩٩١